على هامش معالم التقريب *

المساواة و عمـــار الحياة

ليس مرد التظامن والمساواة فى الإسلام، فيما يلاحظ محمد عبد
محمـــد، أن الإســـلام يزهـــد فـــى الحيـــاة علـــى هـــذه الأرض
يزدريهـا، فكيـف يحتقـر الإسـلام الحيـاة وهـى مرتقـى المسلم
رصته الثمينة لتنمية عقله وروحه، والاكتتاب برصيده فـى الحيـاة
حرة .

إن الامتحان الحقيقى للإنسان هـو هنـا . علـى هـذه الأرض ..
دار الآخرة لا تكليف ولا اختيار فيها، لأنها خير محض، لا مجال
ا لتقارع بين الخير والشر، ولا لتوزع الإنسان أو موازناته للبحث
حياراته أى طريق يسير فيه !!

فى هذه الأرض يصنع الإنـسان موازينـه، ويربـى كفتـه، ويحـدد
سيره فى الحياة الآخرة .. لذلك فالإسلام لا يحتقر ومحال أن يحتقـر
ياة، ويحطئ من يظن أن الإسلام يعطى ظهره للحيـاة أو يحتقرهـا،
لى وأهم غاياته هى عمارة الحياة .. وهذه " العمارة " هى حصاد
يبذله الإنسان فـى دنياه مـن الـسعى والجهـد والاجتهـاد .. ولا
غى للمسلم أن يهرب من الحياة، ففى ذلك تعطيل لسنن الله، بل
يه أن يعيشها بحمـاس ـ فـى ظـل الله، وأن يتمـسك فـى سـعيه
صورة الإسلامية التى تعلـى القـيم والمبـادئ وتحـوط بهـا الحيـاة

---

* المال ٢٠١١/٢/١٦

وتثريها، وتحفز المسلم على الاستمساك بها، وعلى متابعة النور الذى يهديه إليه دينه ..

المسلم السوى الفاهم لا يحار أبداً مادا يصنع بحياته وبواتجها . ولا يعانى ما يعانيه الأشقياء المحصورون فى جمع المال والسلطة، ولا الواقعون فى هذه العدمية أو العبثية .. فهو يعرف لحياته معنى وغاية . ويتعامل مع هذه الحياة بعمق وجد وإخلاص واحتهاد .

أما التسليم لله، فهو إيمان وليس انهراما .. ولذلك فإن التسليم يَبْطُل ويفقد معناه فى نظر الإسلام إذا انطوى على تسليم لغير الله عز وجل ... فمخافة الله، وهى فرع على الإيمان الخالص به، تزول إذا طوى المسلم جوانحه على خوف من مخلوق .. الخائف من المخلوق لا أمان ولا لإيمان له، والمؤمن الحق لايعرف الجبن والاستكانة، والذى يخاف الموت يموت فى كل لحظة !!

لقد أعطت بعض العادات والاعتقادات مفاهيم معلوطة ألصقت خطأً بالإسلام، وهى ليست من الإسلام .. فالولاء والتبعية والرضوخ والتقرب للأقوياء والباطشين من الفانين الهالكين، ليست من الإسلام، وإنما هي ضعف ووهن فى العقيدة .. كثيرا ما تفرض أحكاما وأعرافا مبناها التساهل والإغضاء .. وهو ما لا يرضا الإسلام ولا يقره ..

يجب أن يتنبه المسلمون إلى الاختلاف الأساسى بين " المساواة " فى نظر الإسلام، وبين معناها فى زماننا .. المساواة فى الإسلا معنى روحى ونفسى، له آثار سلوكية وخارجية تعبر عن تحر الناس من داخلهم، أما " المساواة " فى زماننا، فهى معنى سياسى واجتماعى يتجسد للناس كمشاركات انتفاعية ومزايا وحقوق وإصلاحات عامة خارجية فى محيطهم .. ولأن الإصلاحات والمزاي

عامة التى مصدرها الحكم، تُعزى ويروج لها على أنها أيادٍ وأمجادٍ
لحكم أو لحزب أو لنظام، فإنه يخالطها فى كل عصر ويداخلها قدر
ن الدعاية يقل أو يكثر ... وهذا التداخل بين الإصلاحات وبين
دعاية، صار يستوقف النظر فى زماننا، ويدعو للتأمل . فقد صارت
لإصلاحات ضربا من المزايا المادية التى ترضى رغبات أو أطماع أو
رور الجماهير، وكلها وجوه للزهو واللهو والإثارة .. صارت المساواة
عنى الآن المساواة فى الخدمات العامة والمرافق العامة مع بسطها إلى
رسع مدى، وغاب المعنى الروحى الإنسانى للمساواة فى خضم
ذه الصوالح والمنافع المادية، ولم يعد للمساواة معناها الأول، وجار
لك على المساواة فى حق الحرية وحق المشاركة وغيرها من الحقوق
لترتبة على هذا المعنى الأصيل للمساواة الذى أفل وابتعد وغاب !

لا يمكن للإنسان أن يعيش منعزلا عن الناس، ولكن لا يدرى
حد منذ متى بدأ الآدمى يتعالى ويزهو بأنه مخدوم يخدمه غيره ..
ذلك شىء قديم يقال إن له نظيرا عند أنواع أخرى من الحيوان
لحظها من يراقبون عالم الحيوان .. ومع ذلك يلاحظ أن الإنسان
سوى فيه أنفة طبيعية تجعله يعاف الاحتياج إلى معونة الآخرين
ى خاصة شأنه، ويبدو أن نقيض ذلك، سيما لدى الطفل، معزو إلى
تلذذ والزهو بإذعان وخضوع الغير لمشيئته .. بيد أن المسلم السوى
ستغنى بنفسه ـ عندما يتبع هدى نبيه ـ فى خدمة نفسه ببساطة
لا ضجة ولا استعراض .. وتراه بلا زهو، وأيا كان دخله قليلا أو
ائضا، يسهم فى مساعدة غيره، ويقيم معهم فعلا ـ وببساطة وبلا
جة أو استعراض ـ أواصر قائمة على المساواة، حين يود الفائض
ن وقته وطاقته ودخله على محتاجين أو مستحقين .. يقدمه إليهم
يأخذونه منه بنفسٍ طيبة مع المحبة والأخوة فى الإسلام .

يزداد فهمنا لفكرة المساواة فى الإسلام، فيما يبدى محمد عبد الله محمد، إذا تصورنا الفارق بين " التميز " و بين " قصد التميز " واتجاه الرغبة إليه .. فالتميز واقع يقع عند توافر أسبابه وظروفه، ويستحيل منع وقوعه فى حياة البشر، أما " قصد التميز " فقد يكون رغبة فى ترقية الذات وتكميلها للانتقال بها من حال إلى أحسن وأفضل وأكمل .. وهذا لا بأس به، بل مطلوب ما دام يتخذ أسبابه الموضوعية بلا تكبر ولا استعلاء، لذلك يخرج " قصد التميز " عن هذا الإطار المقبول إذا كان ترفعاً وهربا من الشعور بالتساوى وإغراقاً فى المعالاة فى الشغف بإبراز التفوق والتميز والتعالى على الآخرين .. فهذه الرغبة تسلس إلى بلاء وتعطل الإحساس بالعبودية لله تعالى وحده، المستعنية عن تأليه الذات ومدائح الناس .. هذه العبودية هى من معالم التقريب، لأنها دعامة شعور المسلم بمساواته لإخوانه ومساواة الناس بعضهم لبعض .. وبحرية أصيلة متجهة إلى الله عز وجل .